العدد السادس
حزيران (يونيه)
السنة السابعة

No. 6 — Juin 1959
7ème ANNEE

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et
directeur
SOUHEIL IDRISS

معركتنا مع الشيوعية

بقلم الدكتور فايز صايغ

طبيعة كل معركة تتوقف ابدا على طبيعة الخصمين المتصارعين وعلى القضية التي يدور الصراع حولها . فمعركتنا مع الصهيونية ، ومعركتنا مع الاستعمار ، ومعركتنا مع النظم الرجعية العربية تتباين فيما بينها كما وتختلف نوعا عن معركتنا مع الشيوعية ، بالنسبة لاختلاف الخصوم .

ولو لم تكن الشيوعية سوى حركة هدامة ، تسعى الى تقويض كيان الدولة التي تتجسد فيها القومية العربية المتحررة ، وتمزيق وحدتها ، وتقويض دعائم كيانات الدول العربية الاخرى ، واستبدال نظمها جميعا بنظام مستوحى من العقيدة الشيوعية — لو لم تكن الشيوعية سوى حركة هذا شأنها وهذا هدفها ، لكانت مقاومتها الواجبة اذ ذاك تقع مسؤوليتها على عاتق الحكومة او الحكومات المعنية بالامر ، ولكانت اساليب المقاومة اذ ذاك تنحصر ، او تكاد ، في الاساليب التي تلجأ اليها الحكومات عادة يوم تواجه تآمر فئات ناقمة وتهديدها لسلامة الدولة : مثل حل الاحزاب المتآمرة ، وشل نشاطها ، ومراقبة رجالها او مقاضاتهم او اعتقالهم .

اما والتحدي الذي تقدمه الشيوعية للقومية العربية المتحررة لايقف عند حد التآمر والعمل الهدام ، فان الاجابة على ذلك التحدي لاتكون مجدية اذا هي انحصرت في المقاومة الحكومية وفي الحذر الشعبي من التآمر .

فللشيوعية ، فضلا عن كونها حركة تآمرية ، طبيعة اخرى . انها دعوة . وليس سعي الشيوعية للتحطيم غاية في حد ذاته ، وانما هو وسيلة لخلق مجتمع شيوعي . لهذا ، باتت مقاومة الشيوعية باساليب القمع غير كافية لوقاية المجتمع العربي من خطر الشيوعية من حيث هي دعوة .

وبمقدار ماتستند الشيوعية في بث دعوتها في النفوس الى ظلامات فعلية قائمة ، ناشئة عن اوضاع فاسدة قائمة (كالاستثمار والاستغلال ، والتحكم والاحتكار ، والجور ، وانعدام العدالة الاجتماعية ، والفقر ، وانخفاض مستوى المعيشة ، وسوى هذه من مظاهر التخلف والسقم في المجتمع العربي) ، **لاتكون المقاومة التي تقدمها القومية العربية المتحررة للشيوعية مجدية ما لم تقترن بنشاط جدي مركز ، في مضمار بناء مجتمع سليم ناهض .**

فالغاء الاقطاع ، والقضاء على الاستغلال ، ومحاربة الحرمان بتوفير الفرص للجميع كي يسهموا في حياة الامة ورقيها ويتمتعوا بازدهارها المرتقب ، ورفع مستوى المعيشة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، واستئصال سائر الاسباب الواقعية التي ولدت وتولد الظلامات في نفوس ابناء الامة — كل هذه الاعمال ، التي تستجيب للتوق المنبثق عن المثالية القومية ، انما تعجل في ازالة عناصر القلق والنقمة والتظلم ، التي تسعى الشيوعية لتتسرب الى النفوس عن طريقها .

اذا كانت اساليب القمع ، التي تواجه بها الحكومات تحدي الشيوعية كحركة هدامة ، ضربا من ضروب **الطب العلاجي** ، الذي يمارس بعد استفحال الداء فان اساليب البناء الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي من باب **الطب الوقائي** ، الذي يتحوط ضد الداء قبل استفحاله وتفشيه ، لا بالتلقيح وخلق المناعة فحسب بل بتعزيز مقومات الصحة والنشاط والحيوية ايضا .

***

الا ان ثمة وجها ثالثا للشيوعية ، لعله يفوق الوجهين الاولين خطرا وخطورة .

وهو هذا الوجه الذي يلقي مهمة مقاومة الشيوعية على عاتق الافراد والهيأت الاهلية والاحزاب القومية ـ وعلى عاتق المفكرين اولا وقبل الجميع ! ـ لا على عاتق الحكومات.

الشيوعية كحركة هدامة ، والشيوعية كدعوة تستثمر التظلم والنقمة وشهوة الحياة الافضل ، هي امتداد للشيوعية كعقيدة ، بل كعقيدة كلية شاملة .

ولا تحارب العقيدة الا بالعقيدة .

فلا تقاوم الشيوعية اذن مقاومة مجدية ، دائمة الاثر ، **مضمونة النتائج ، الا عندما تقدم القومية العربية المتحررة الى الملايين من ابناء الامة ـ المتعطشين الى الايمان بمثل اعلى واضح ـ عقيدة اجتماعية ذات محتوى مفهوم ، يحفز على الايمان ويدعو الى التفاني ويفعل في القلب والضمير .**

الشعائر وحدها لا تكفي لارواء هذا العطش ـ فالشعائر يسهل على المخادعين او المخدوعين تزييفها ، ويصعب التمييز بين المزيف منها والاصيل حين لايتوفر المحتوى الذي على ضوئه يصار الى ذاك التمييز .

وفي يقيني ان القومية العربية المتحررة تستطيع ان تقدم عقيدة وافية ذات محتوى ايجابي ، يقطع على الشيوعية كلا السبيلين اللذين تسلكهما الى النفوس : سبيل تزييف الشعائر ، والتظاهر بما ليست هي عليه ، من جهة ، وسبيل اقتحام الفراغ العقائدي ومحاولة ملئه ، من جهة اخرى .

بل ان دعاة القومية العربية المتحررة من رجال الفكر لمدعوون الى صياغة هذه العقيدة ، وتحديد مفاهيمها ، واستكمال محتواها ، وتعميق معناها .

ليس هذا المقال محاولة في هذا السبيل . ولكنه دعوة الى انتهاج السبيل الذي لامناص لنا من انتهاجه ، اذا نحن رمنا ان نخرج من المعركة مع الشيوعية ظافرين ظفرا دائما ، وظفرا يليق في نوعيته بكرامة العقيدة التي نعتنق والدعوة التي بها نؤمن .

وبوسعنا الان ان نحدد ، بصورة اولية ، بعض معالم الاختلاف بين العقيدة القومية العربية المتحررة ، والعقيدة الشيوعية .

تختلف الشيوعية عن القومية العربية المتحررة : في المنطلق ، وفي الاغراض الاخيرة ، وفي المصالح التي ترمي كل من العقيدتين الى تأمينها ، وفي القيم العليا التي تتأثر بها . منطلقنا غير منطلق الشيوعية . القومية تنبثق عن المحبة ـ محبة المواطن لابناء امته ، ونشدانه خير كل منهم وسعادته وعزه . واما الشيوعية فمنطلقها هو الحقد المحموم، والكراهية والنقمة والبغضاء للاستثمار والمستثمرين على السواء !

نحن ، كقوميين ، نسعى الى تحرير كل مواطن من الاستثمار والاستغلال والمحاباة ، ومما تولده هذه من فقر وجور ومهانة ، حبا منا به كانسان وكمواطن . اما الشيوعية فتركز على موضوع نقمتها ، اكثر من تركيزها على موضوع محبتها وولائها .

القومية المتحررة ترمي الى تحرير جميع المواطنين ، وجميع فئات الامة وطبقاتها ، من كل مايسلبهم انسانيتهم ويذلهم في وجودهم كبشر . اما الشيوعية فمحصورة الولاء ، ترمي الى تحويل الطبقة المحرومة الى طبقة حارمة ، واذلال من يذلها الان .

اذن ، ففي المنطلق ، تختلف القومية المتحررة عن الشيوعية ، في ان الاولى وحدها تنبع من فيض في الحب والعطاء يشمل في موضوعه جميع ابناء الامة .

وفي نظامها الامثل المنشود ، تختلف القومية المتحررة عن الشيوعية اختلاف النظام الذي يستمد شكله من اوضاع المجتمع الواقعية ، عن النظام الجامد المتحجر الذي يسعى دعاته الى تطبيقه تطبيقا متماثلا وفي كل مجتمع دون اخذ اوضاعه الخاصة وتراثه المميز وذاتيته القومية بعين الاعتبار الجدي .

ونظام الشيوعية يدور حول التنظيم الاقتصادي ـ بوحي المبدأ الماركسي الذي يرفع الاعتبارات الاقتصادية فوق كل اعتبار اخر ، بل وينظر الى كل نشاط انساني اخر كامتداد للنشاط الاقتصادي وكنتيجة له . ويسيطر في هذا النظام مبدأ منتهاه الطغيان على النشاط الفردي والنشاط

دار المعارف ببيروت

تنقلك الى بلاد ساحرة في جمالها . رائعة في مآسيها

بتقديم :

الارض الطيبة

القصة الرابعة من الارض الاندلسية بعواطفها الصاخبة

تأليف
ف. بلاسكو ايبانيز
ترجمة
عبد اللطيف شراره

الحر في حقل الاقتصاد وفي سواه من حقول الحياة . اما القومية فلا تذيب الوجود الانساني باكمله في البوتقة الاقتصادية ، كما انها لاتتنكر للنشاط الفردي والنشاط الحر الا بمقدار مايعمل هذان على خلق الجو الملائم للاستثمار او على استدامة الاستغلال الحاصل .

القومية المتحررة تعمل لسيادة الامة وخير الشعب . اما الشيوعية فتعمل ، اولا واخرا ، لحساب حركة عالمية في مداها ، قد تتناقض مصالحها ومصلحة الامة المعنية بالامر فتقضي بالتضحية بالمصلحة القومية على مذبح مصلحة تلك الحركة . فضلا عن انها تستلزم التبعية ، وتكيف مخططاتها ومناهجها لتوجيهات تأتي من الخارج ، فتتخلى عن سيادة الامة وتسلم قيادتها الفعلية الى قوي اجنبية .

واخيرا ، فالشيوعية ، في اصالتها وفي اكتمال تعبيرها عن ذاتها ، عقيدة كلية شاملة تنصب نفسها مرجعا لكل اعتقاد وكل ايمان ، وحكما في كل عمل ، ومقياسا لجميع القيم — فلا يقوم حق في عرفها او خير الا في دائرة عقيدتها .

انها ايمان شامل تمتد آفاقه مدى الوجود الانساني باكمله ، فلا تترك زاوية من زوايا ذلك الوجود الا وتضمها في نطاق تقريرها . فهي دين يراد به التنكر للاديان ولحرية التدين باي دين سواه ! والمجتمع الذي ترمي الى بنائه — دكتاتورية البرولتياريا — هو الاله الذي تزول بالقياس اليه شخصية الانسان الفرد ، والذي يستأثر بولاء الانسان الكلي ويتنكر لاصالة كيانه كفرد .

وعلى صعيد هذا الشمول في العقيدة ، تتضح الشيوعية باجلى معانيها وارهبها : **عقيدة تبدأ بالادعاء بانها تحرص على تحرير الفرد من الاستغلال والجور ، وتنتهي بسلبه اقدس ما في نفسه من قيم ، وباذلاله كانسان حتى حين هي تشبعه كجسد !**

اما العقيدة القومية فانها لاتصبو الى مثل هذا الشمول ، ولا تنتحل لنفسها مثل هذه الصفة الكلية . فهي تعترف بحرمة هاتيك المناطق من كيان الانسان التي تقع خارج نطاق التنظيم الاجتماعي . القومية لاتنسب الى نفسها الحق في الحكم فالتحكم في الفن او العلم او الفلسفة او الدين . انها لاتنصب نفسها حكما في كل حق وكل خير وكل جمال . وهي لاتجهل ان نشدان الانسان لهذه القيم انما يتم ويتكل بالانجاز والاثمار في حرمة الحرية التامة ، او لايتم اطلاقا . فمقاييس هذه القيم تنبع من صميم هذه القيم عينها ، ولا تستعار من خارجها . والولاء لهذه القيم لايقيده ولاء اخر . والعقيدة التي تنتحل لنفسها ما ليس لها ، عقيدة ضالة تستعبد الانسان وتمتهن انسانيته ولئن هي تظاهرت بالحرص على تحريره واعلاء شأنه .

الشيوعية خطرها وخطأها انها عقيدة كلية . اماالقومية ففخرها انها ليست كذلك ، وليست نظاما عقائديا شاملا شمول الكيان الانساني باسره .

كيما تجابه القومية الشيوعية لابد لها نن ان تقوم بعملية توضيح عقائدي يتناول **تحديد مفاهيم القومية وتعميق محتواها واستكماله .**

بيد ان الفراغ العقائدي الحاضر ليس اكثر خطرا على القومية من سعي بعض القوميين لملئه بصياغة عقيدة قومية كلية . ولن يتوفر لنا الفلاح في مقاومة الشيوعية الا حين نعمل على استبدال الفراغ العقائدي بعقيدة واضحة ، متحوطين في الوقت عينه دون انتحال هذه العقيدة لنفسها صفة الشمول الكلي .

ومن خلال العقيدة القومية ، الواضحة المحتوى والحدود، يمكن التمييز بوعي نير بين اشتراك القومية المتحررة والشيوعية اشتراكا سلبيا في بعض الاغراض (اي في مقاومة بعض الافات : كالرجعية ، والاستعمار ، والتخلف)، وبين اختلافهما ايجابيا في اسباب ذلك الاشتراك ، وفي الاهداف الاخرى التي ليس بين الشيوعية والقومية بالنسبة اليها قاعدة مشتركة — بل ولا شبه مشتركة !

فايز صايغ